علاقة المستوطنين الأوروبيين بالأهالي الجزائريين في اهتمامات الصحافة العربية الجزائرية خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن20م.

The Relationship of the European Settlers with the Algerian Population in the Arab Algerian Press interest during the 20's and 30's of the 20th Century

المؤلف المرسل: د. تاونزة محفوظ Taouanza mahfoud صص196- 209
- أستاذ محاضر أ-
جامعة خميس مليانة
البريد الإلكتروني: taouanzamahfoud@yahoo.fr
أة. سبيحي عائشة- أستاذة مساعدة ب- المركز الجامعي عبد الله مرسلي- تيبازة
البريد الإلكتروني: sbihiaicha1@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2019/09/03 تاريخ المراجعة: 2019/09/03 تاريخ القبول:2019/09/05

الملخص: تعالج هذه الدراسة علاقة المستوطنين بالأهالي الجزائريين من خلال الصحافة العربية الجزائرية خلال الفترة المحددة للدراسة، حيث قامت هذه الصحافة بفضح نظرة المستوطنين العنصرية إزاء الأهالي الجزائريين والتنديد بممارستهم الاستغلالية اللاإنسانية تجاه ممتلكات الجزائريين وثرواتهم، ومشهرة كذلك بدور هذه الفئة الدخيلة في معارضة تعليم الجزائريين وتمكينهم من حقوق المواطنة، خشية من تحولها إلى أقلية أمام الأغلبية الجزائرية، ومن ثمّ فقدانها النفوذ والهيمنة على المجتمع الجزائري، لذلك ظل المستوطنون يبذلون قصارى جهدهم بغية الإبقاء على حالة الجزائريين كرعايا (أهالي) حتى لا ينافسونهم في الثروة والحكم.

ويندرج اهتمام الصحافة العربية الجزائرية بهذا الموضوع ضمن الدور النضالي الوطني الذي كانت تؤديه بهدف استنهاض همم الجزائريين، وتنمية الوعي الوطني لديهم، من خلال دعوتهم إلى التمسك بأراضيهم، وتجنب التأثر بإغراءات المستوطنين المالية المستهدفة لأملاكهم، ومطالبتهم أيضا بالاعتماد على أنفسهم في تدبير شؤونهم الاقتصادية، وذلك بإنشاء شركات وطنية استثمارية وبنوك مالية خاصة بهم، والاهتمام بتعليم الأطفال للحيلولة دون استغلالهم من طرف المستوطنين، وبهذا الموقف تكون

الصحافة العربية الجزائرية قد شكلت مظهرا بارزا في المقاومة الوطنية ضد سياسة المحتل الإستدمارية وغلاته المستوطنين الأوروبيين خلال هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: الصحافة العربية الجزائرية؛ مجلة الشهاب؛ جريدة النجاح؛ جريدة البرق؛ جريدة الإقدام؛ جريدة الصديق؛ السياسة الإستعمارية؛ الأهالي؛ المستوطنون الأوروبيون؛ القوانين الأهلية.

ABSTRACT : *This study examines the relationship of the European settlers with the Algerian population through the Algerian Arabic press during the 1920s and 1930s. The press exposed the racist settlers' view toward the Algerian population and condemned their inhuman exploitation of the Algerians' property and wealth. The study sheds light on that intruding minority they would become a minority before the Algerian majority and that they would lose influence and control over Algerian society. The settlers continued to do their utmost to maintain the Algerian situation. As citizens (people) so as not to compete them in wealth and governance.*

The Algerian Arab press interest to this issue is a part of the role played by the national struggle that aims to mobilize the Algerians and developing their national awareness by calling them to attach to their lands and avoid being influenced by the settlers' financial temptations towards their property, also asking them to rely on themselves in managing their economic matters in establishing national investment companies , their own financial banks and interest in educating children to prevent their exploitation by the settlers. In this regard, the Algerian Arab press has formed a prominent feature in the national resistance against the destruction policy of the occupier during this period.

Keywords: *Algerian Arab Press; Al-Shehab Magazine; Al-Najah Newspaper; Al-Barq Newspaper; Al-Fadid Newspaper; Al-Siddiq Newspaper; Colonial Policy; Parents; European Settlers- Local Laws.*

المقدمة: اتخذت النخبة الوطنية من الصحافة المكتوبة وسيلة نضالية فعالة لتوعية الشعب الجزائري والدفاع عن حقوقه المغتصبة، في ظل سياسة فرنسا الإستعمارية المفروضة عليه وما تميزت به من ظلم وجور، وانحياز للعنصر الاستيطاني الذي مكنته بطريقة أو بأخرى من احتكار ثروات الجزائريين، واستغلالهم في شتى القطاعات الاقتصادية والخدماتية كأيد عاملة زهيدة.

أضف إلى ذلك مواقفهم المعارضة للإصلاحات الفرنسية التي من شأنها أن تساهم في ترقية الجزائريين، وتمكينهم من الحصول على حقوق المواطنة؛ فقد عالجت الصحافة العربية الجزائرية هذا الموضوع، وحاولت فضح هذه الممارسات اللاإنسانية للمستوطنين ضد الأهالي الجزائريين ساعية من وراء ذلك إلى لفت أنظار السلطات الفرنسية من جهة، والرأي العام الجزائري من جهة أخرى.

وعليه فإشكالية الدراسة تتمحور حول مدى مساهمة الصحافة العربية الجزائرية في التصدي لنظرة المستوطنين العنصرية وسياستهم الإستغلالية المنتهجة حيال الأهالي الجزائريين، ويمكن تفكيك هذه الإشكالية إلى التساؤلات الآتية: ما مفهوم الصحافة العربية الجزائرية؟ وما مدى مصداقية هذه الصحافة في اهتماماتها الإعلامية بموضوع المستوطنين وعلاقتهم بالأهالي الجزائريين؟ وما موقف السلطة الإستعمارية وغلاتها المستوطنين من إثارة الصحافة لهذا الموضوع الذي يعتبر بمثابة خط أحمر لتفادي تأجيج الرأي العام الجزائري.

تطلبت معالجة الموضوع القيام بعملية جرد شامل للمقالات وغيرها من أشكال الكتابة الصحفية الواردة في الصحافة العربية الجزائرية، ثم تحليل مضامينها تحليلا تاريخيا نقديا وفق متطلبات المنهج التاريخي، والإستشهاد بمقتطفات من المقالات كمستندات للتعليل والتدليل على موقف الصحافة من هذا الموضوع.

وعليه سيتم معالجة الإشكالية في ثلاث محاور رئيسة هي:

1- ماهية الصحافة العربية الجزائرية.

2- صورة المستوطنين في الصحافة العربية الجزائرية.

3- دور الصحافة العربية الجزائرية في تفعيل الوعي الوطني ضد الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية للمستوطنين على المجتمع الجزائري.

1- ماهية الصحافة العربية الجزائرية: يتمثل هذا النوع من الصحافة المكتوبة الذي عرفته الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية في مجموعة الجرائد والمجلات الناطقة باللغة العربية وأخرى مزدوجة اللسان، التي أنشأها ومولها الجزائريون الأهالي (المسلمون)، وهي مختلفة الإتجاهات الفكرية والسياسية؛ فمنها ذات اتجاه إصلاحي

ووطني، وصنف آخر طرقي، ومنها المعتدلة اللهجة، كما نجد المهادنة للاستعمار، إضافة إلى الصحافة الثورية الإستقلالية[1].

لم تبق النخبة الوطنية مكتوفة الأيدي أمام احتكار الإدارة الاستعمارية والمستوطنين للصحافة المكتوبة، بل تشجعت على إنشاء صحافة خاصة بها في بداية القرن 20، كوسيلة للإصلاح وإيقاظ الشعب الجزائري من سباته، وذلك بكشف وفضح النوايا الاستعمارية المتربصة به، ودفاعا عن الهوية الوطنية بشقيها اللغوي والديني[2].

وكانت بداية ظهور الصحافة العربية الجزائرية مع صدور جريدة الحق (1893-1894) بمدينة عنابة[3]، والتي اعتبرت أول جريدة تصدر بالجزائر لمسلمين جزائريين، قاومت اليهود وفضحت نواياهم العدائية[4].

ومثلت فترة بداية القرن العشرين الانطلاقة الحقيقية لهذه الصحافة، حيث شهدت الجزائر ظهور مجموعة هامة من الصحف الناطقة بالعربية، وأخرى مزدوجة اللسان، منها المصباح (1904- 1905) لمؤسسها العربي فخار، وكوكب إفريقيا (1907-1914) لصاحبها الشيخ محمود كحول، والجزائر (1908) لـ"عمر راسم[5]، والحق الوهراني(1911- 1912)[6]، والإسلام (1912-1913) لصاحبها صادق دندان[7]، والفاروق (1913- 1915) لمؤسسها عمر بن قدور الجزائري، وذو الفقار (1913- 1914) لـ"عمر راسم[8].

كما عرفت الجزائر في فترة ما بين الحربين العالميتين(1919-1939) صدور كم هائل من الصحف بشقيها العربي والفرنسي وصنف آخر مزدوج اللسان، من أهمها النجاح (1919-1956) لـ"عبد الحفيظ الهاشمي[9]، والإقدام (1920-1923)[10]، والصديق (1920-1922)لـ"محمد بكير[11]، والبلاغ (1926-1947)، لسان حال الطريقة العليوية بمستغانم[12]، والمنتقد (1925)، والشهاب (1925-1939) لعبد الحميد بن باديس[13]، وجريدة البرق (1927) لصاحبها محمد السعيد الزاهري[14]، وصحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي: السنة النبوية(1933) والشريعة(1933) والصراط السوي (1933-1934) والبصائر، السلسلة الأولى (1935-1939)[15]، وصحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان وهي: وادي ميزاب (1926-1929) وميزاب (1930) والمغرب (1930-

1931) والنور (1931-1933) والبستان (1933) والنبراس (1933) والأمة (1933-1938) والفرقان (1938) والإصلاح (1927- 1948) للشيخ الطيب العقبي[17].

تواصل صدور الصحف العربية الجزائرية من طرف النخبة الجزائرية المثقفة والسياسية بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أصبحت أغلبها تعبر عن اتجاهات سياسية واضحة، وذات مستوى متطوّر من حيث الطباعة والإخراج والأسلوب وثقافة محرّريها[18]، ونذكر منها: الجزائر الجديدة (1946- 1955) لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري[19]، والبصائر- السلسلة الثانية (1947- 1956) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[20]، والوطن (1948)[21] لحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، والمغرب العربي (1947-1956)[22] المزدوجة اللسان لـ"محمد السعيد الزاهري، والمنار(1952-1954) لـ"محمود بوزوزو[23].

وقد أشادت الباحثة اللبنانية سلمان نور بأهمية هذه الصحافة ودورها النضالي الوطني بقولها: «... لقد احتلت دور الكتاب لقلة المطابع، ولضعف حركة النشر في الجزائر؛ فكانت منبر الكاتب والشاعر والمعلق السياسي والمصلح الديني والإجتماعي، وكان لها الفضل في نشر اللغة العربية والحفاظ عليها أداة للتداول وللتعبير الحي، كما كان لها الدور في إقامة الروابط وتقويتها بين بلاد المغرب العربي والمشرق العربي الإسلامي، وقد واجهت هذه الصحافة عقبات كثيرة أهمها العقبات السياسية التي عرضتها للتعطيل، وضيقت عليها مجال التعبير، ولكنها استمرت رغم قلة مواردها المادية غارسة في أذهان قرائها كلمات حية كالاستقلال والحرية والوطنية والمساواة والغيرة الإسلامية...»[24].

2- صورة المستوطنين في الصحافة العربية الجزائرية:

2-1- النزعة المتطرفة للمستوطنين إزاء الأهالي الجزائريين: لم تتوان الصحافة العربية الجزائرية في فضح النزعة المتطرفة للمستوطنين الأوروبيين، ومعاملتهم الإحتقارية تجاه الأهالي الجزائريين، وبتواطؤ من الإدارة الاستعمارية، بحيث مكنتهم من الهيمنة الإقتصادية والسياسية والاجتماعية على المجتمع الجزائري، بينما أهملت شؤون الأهالي، وتشير مجلة الشهاب إلى ذلك بقولها: «... أما فرنسيو الإستعمار بالجزائر والذين يستخدمون فرنسا لتفوقهم ودوام عتوهم وتسلطهم، ولا تهمهم فرنسا بقدر ما

تهمهم مصالحهم؛ فهؤلاء قد شغلهم التفكير في وسائل الضغط، والشدّة ضد الجزائريين- وإخوانهم- عن كل تفكير آخر رغم مشاهدتهم لهذا الخطر واضطرابهم له... والعجب مليء أنفسنا لا نسمع في الخارج إلا ما يوافق في الأكثر نظرية أولئك الرجعيين الإستعماريين الذين أعمتهم مصالحهم الخاصة عن كل شيء حتى كأن السياسة الفرنسية كلها انصبغت بصبغتهم، وأصبحت تحت تأثيرهم؛ فهم يذكرون لزوم المحافظة على الجزائر ووسائل المحافظة على الجزائر، ولا يذكرون أبدا المحافظة على الجزائريين ووسائل المحافظة على الجزائريين بل لا يفتؤون يذكرون الشدة على الجزائريين ووسائل الشدة على الجزائريين»[25].

وتستمر الشهاب في فضح النظرة العنصرية للمستوطنين إزاء الأهالي الجزائريين، الذين اعتبروهم كسالى ومتقاعسين عن العمل، ومن جهة أخرى يتغنون بخيرات الفلاحة الجزائرية، متجاهلين دور وفضل الفلاحين الأهالي على هذا القطاع، «... يقولون إن العامل الأهلي متكاسل متقاعس، لكنهم في الوقت نفسه يتغنون بمحاسن العمل الفلاحي في القطر الجزائري، ويشيدون بذكر جمال الأرض هناك؛ فلمن يعود الفضل في تلك المحاسن وذلك الجمال وتلك الأعمال؟ إنه يعود بنسبة 90 في المائة لأولئك العملة الأهالي البؤساء المساكين الذين يقولون عنهم إنهم كسالى، وتقول عنهم دوائر الإحصاء العسكري إن أبدانهم سقيمة من تأثير الخصاصة والبأساء...»[26].

وفي نظر المستوطنين أنه يجب الإبقاء على حالة الجزائريين كرعايا، وعدم تمكينهم من الحصول على حقوق المواطنة حتى يستغلون كأياد عاملة زهيدة في خدمة مصالحهم حسب ما أشارت إليه الشهاب: «...؛ فالأهالي إذا يجب أن يبقوا رعايا لأنهم يمثلون اليد العاملة الفلاحية، يجب أن تكون فاقدة كل حق لكي تبقى متحملة ما تتقاضاه من أجر زهيد لا يتجاوز الثمانية أو العشرة فرنكات يوميا، منها قوت العامل وقوت عياله، وفي بعض جهات الجنوب كبسكرة مثلا لا يعطى هذا الأجر نقدا، وإنما يعطى مادة وبأي صفة...»[27].

إن الأهلي الجزائري في نظرهم جنس غير قابل للتهذيب والتثقيف والتمدين، لذلك كانت هذه الفئة المستغلة المجحفة دوما تعارض تمكين الأهالي من التعليم، كما

أشارت لذلك الشهاب بقولها: «...؛ فهم يقولون إن العناصر الأهلية غير قابلة للتهذيب والتمدين، يقولون ذلك ولم يجربوا أبدا منذ ثلاثين عاما إخراج الأهالي من بأسائهم المادية والأدبية، وليس لنا من دليل نقدمه على هذا أكثر من أصوات المستعمرين التي تعالت بالاحتجاج والنكير الصارخ عندما قرر مجلس الأمة الفرنسي إحداث المدارس في القطر الجزائري لتعليم الأهالي...»[28].

وأنه «لا يمكن منح قوانين الانتخاب للأهالي ضمن الدائرة الوطنية الفرنسية لأنه لن يبق بعدها من تنفذ ضده قوانين الأنديجينا، وخشية أن يألف الأهلي أنه ند للفرنسي فلا يطع، ومن واجبات الأهلي أن يطيع»[29].

2-2- نزعة المستوطنين الاستغلالية تجاه الجزائريين: نددت الصحافة العربية الجزائرية وبكل جرأة بالاستغلال اللاإنساني الذي مارسه المستوطنون على حساب أملاك وأرزاق الجزائريين وبمساعدة الإدارة الاستعمارية، حيث يكشف الكاتب محمد السعيد الزاهري[30] في هذا الصدد في جريدة البرق الوطنية الجزائرية سنة 1927 أن الحكومة الفرنسية كانت قد استولت على أراضي الأحباس العامة، وأنعمت بها على المستوطنين[31].

وبدوره كتب عبد الحفيظ الهاشمي[32] في جريدته النجاح تحت عنوان: "أراضيكم، أراضيكم" سنة 1926 فاضحا من خلاله بطريقة أو بأخرى الطرق والحيل القانونية التي يستعملها المستوطنون من أجل الاستحواذ على أراضي الأهالي الجزائريين، الذين طالبهم بعدم بيع أراضيهم للمستوطنين الأوروبيين حتى لايصبحون غرباء عن وطنهم بفقدان عقارهم الفلاحي، «مهما تجاذبنا أطراف الحديث على المسائل الوطنية الحقة، وما آلت إليه حالة الوطنيين المادية والأدبية، كانت مسألة الأراضي الأهلية أجدر وأحق بالبحث من غيرها، وبنوع خاص في هذه الآونة التي صارت فيها تلك الأراضي معرضة للخطر الحقيقي الذي يتهددها من دعارة التعمير والتعسف الفلاحي. مسألة لم تجد في فئة الفلاحة حكمة ورجوعا إلى الرشاد، كما أنها لم تجد عصابة قوية الجأش لدرس أفاتها وأسباب تلاشي ما تركه الأجداد من الأراضي الزراعية.

الأرض الفلاحية هي محل تيه عقول المعمرين من الأوروبيين، وهي محط رحالهم وبغية آمالهم، وإذا أخرج الأهلي أرضا للبيع فيأتون مهرولين لشرائها يحملون معهم من المال ما يقهرون به من يزاحمهم في الشراء، وقلما أشهر الأهلي أرضا للبيع واشتراها منه الأهلي، وبهذا الابتلاع الذي لا يعقبه ازدراء، كادت أراضينا أن تخرج من أيدينا عن آخرها...، تبذل أراضينا جاهلين بقيمتها، ولم تدب فينا روح الشعور بأن الاستمرار على البيع سنكون به ضيوفا في بلادنا نطلب الرزق من جيوب غيرنا، ونحن صاغرون بدلا من أن نطلبه من بطون الأرض ونحن أعزاء مبجلون...»[33].

وكشفت صحيفة الشهاب عن الامتيازات التي تمتع بها المستوطنون بالجزائر، وعلى الأهمية الحيوية التي أصبحت تكتسيها في نظر هذه الفئة الدخيلة، بقولها: «...الجزائر الأوروبية المؤلفة من رجال أتوا من كل فج عميق ليجربوا فيها حظوظهم، تشبه تمام الشبه لذلك الوسط الأميركي...»[34].

نفس الموقف من هذا الموضوع نجده في جريدة الإقدام للأمير خالد الجزائري[35]، حيث حملت مسؤولية تعاسة الجزائريين الأهالي إلى المستوطنين الجشعين والسياسة الاستعمارية الداعمة لهم، مشيرة إلى التضحيات التي بذلها الجزائريون في سبيل الدفاع عن فرنسا لاسيما إبان الحرب العالمية الأولى، إلا أن ذلك لم يشفع لهم عند الإدارة الاستعمارية التي لم تتكفل بانشغالاتهم ومشاكلهم[36].

وفي مقال آخر بعنوان "سياسة عقيمة" انتقدت من خلاله الجريدة سنة 1920 المستوطنين بقولها: «... الذين يسعون في تشتيت كلمة المسلمين بجميع الوسائل هم الطائفة الذين يصورون شبيبة المسلمين في صف عدو لفرنسا، ويزعمون أن القرآن العزيز حجاب عظيم، وبذلك يبقى لهم التفويض التام في المداخل والمصارف الوطنية ينفعونها على حساب أغراضهم، ويتأتى لهم توزيع الأراضي وسلب أموال المسلمين، وجبرهم على الأعمال الشاقة في سبيل حياتهم وتنعمهم، وعلى وجه الإجمال الموت البارد حتى ننقضي عن آخرنا كما وقع للهنود الحمر...»[37].

كما وقف المستوطنون ضد هجرة الجزائريين خلال وعقب الحرب العالمية الأولى إلى فرنسا بحثا عن فرص العمل، ومن ثمة تحسين ظروفهم المعيشية، لأن ذلك يؤدي إلى تضاؤل اليد العاملة بالجزائر وبالتالي ارتفاع أسعارها، لذلك "عمل المعمرون

بجد للتأثير على الحكومة حتى تضع حدا لهذه الظاهرة (الهجرة الجزائرية)، ووضعوا العراقيل، واستصدروا القوانين، ومن أشهرها قانون شوطان 1916 الذي حجر على عمال الأهالي السفر إلى الخارج إلا برخصة"، كل ذلك من أجل تكريس المزيد من استغلال المستوطنين والإدارة الاستعمارية للعمال الجزائريين بإعطائهم أجور زهيدة لا تمكنهم حتى من سدّ رمق الجوع، حيث لم تكن هذه الأجور تزيد عن أربع فرنكات في سنة 1920، بينما قدر سعر الخبز بحوالي فرك ونصف[38].

وقد تسببت هذه الظروف في نكبة باخرة "سيدي فرج" سنة 1926، حيث هلك على متنها أربعون عاملا جزائريا كانوا في طريقهم إلى فرنسا خفية؛ فالظروف الصعبة التي أحاطت تواجدهم في إحدى أماكن الباخرة، حيث كانت النار تشتعل بها والفحم يتطاير منها، وانتشر الغاز الخانق مع انعدام وجود منافذ للهواء، مما أدى إلى اختناق هؤلاء العمال ومن ثمة كان مصيرهم الهلاك جميعا[39].

كان لهذه الحادثة الأليمة صدى واسعا في أوساط الكتاب الجزائريين، وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس[40] الذي كتب في مجلة الشهاب تحت عنوان "ضحية التحجير من الفقر إلى القبر" أبدى من خلاله حزنه العميق على ضحايا هذه الحادثة، وحمّل الإدارة الاستعمارية وغلاتها من المستوطنين مسؤولية هذه الكارثة، بقوله: «واحسرتاه عليكم- أبناء الجزائر- ما أسرع ما تتوالى عليكم البلايا والأرزاء، وما أكثر ما يجتاحكم البؤس والشقاء...؛ فسحتم للوافدين في دياركم، وخدمتموهم بأنفسكم، وأرحتموهم بحسن جواركم؛ فلما ضاقت عليكم أرضكم، وأحاط الفقر بكم، واستبد المستعمرون والمتمولون الأهليون بكم، فبخسوكم أجوركم، واستعبدوا كباركم وصغاركم. قلتم: نذهب إلى فرنسا بلاد الحرية والحكومة الاشتراكية؛ فنعمل فيها كسائر العمال من جميع الأجناس بل نحن أقرب إليها من جميع الناس؛ فلما قلتم وفعلتم، وقلت اليد العاملة- بالثمن البخس- لما ذهبتم قامت قيامة حزب الاستعمار، ونادى بالويل والبوار وخراب الديار، وعلت الضجة في صحفه هنا وهنالك، وأخذت شعبه وزعماؤه ترميكم بالأفائك، وسدت في وجوهكم المسالك...، وصدر قانون التحجير المشهور، ولكن هيهات أن يقف القانون المكتوب أمام الجائع المحروب؛ فأخذت الحاجة تدفعكم، والبحارة الطماعون يساعدونكم، حتى وقعت

الفاجعة الأليمة (سيدي فرج)...؛ فذهب جمع منكم من الفقر إلى القبر ضحية التحجير الجائر...»[41].

وبدورها عبرت صحيفة النجاح عن استيائها إزاء هذه الكارثة المروعة، وانتقدت الظروف المأساوية التي كان يعشها العمال الأهالي بسبب السياسة الاستعمارية وأنانية المستوطنين: "فإنه عندما فر من جبروت المعمر، وغائلة الجوع والفقر، وقع بين أنياب الموت الأحمر، ثم هو لم يجد من يأخذ له بحقه أو ينتصر له لأنه أهلي، والأهلي مهضوم الحق حيا وميتا"[42].

وفي مقال آخر نشرته النجاح سنة 1927 فضحت من خلاله الوجه اللاإنساني في استغلال المستثمرين المستوطنين لأطفال الجزائر في مجال العمالة، حيث كتبت قائلة: «...خدم عامة النهار وسجاية الليل فلم يكفها في المؤنة، رفع الصخرة العظيمة لكي يأخذ كمية من المال فيصرفها في حاجته وحاجة عائلته لكنها لم تقم له حتى بشراء الملح والدخان. أعاد الكرة للدخول إلى "شانطي" البناء رجاء أن يكون بناء فنانا؛ فيأخذ الستين والسبعين فرنكا في النهار ليسد بها رمق إخوانه وعائلته، ويتخذ هذه الحرفة الشريفة عدة لحياته وحياة أولاده. لكنه بعدما باشر العمل خاب رجاؤه، وتبدل باله لأنه حملوه ما لا يطيق أبناء فيزوف (الإيطاليون) برفع الحجر من الطابق الأسفل إلى الطابق الأعلى. علموه كيف يضرب بالمطرقة الحجر فيفتت إربا إربا، ثم يطبخه بالرمل. علموه رفع المعول؛ فيحفر بالفأس حتى يصل إلى تخوم الأرض، هذا ما علمه أبناء الطليان من ضروب الشقاء والنكال يأتيه يوم القبض (السبت)، الطلياني يأخذ الستين والسبعين في اليوم وابنك (الطفل الجزائري) يأخذ سبع فرنكات في اليوم...»[43].

3- دور الصحافة العربية الجزائرية في تفعيل الوعي الوطني ضد الهيمنة الاقتصادية والسياسية للمستوطنين على المجتمع الجزائري: مثلت الصحافة العربية الجزائرية مظهرا بارزا في المقاومة الوطنية ضد سياسة المحتل الفرنسي وغلاته المستوطنين، من خلال فضحها النزعة الحاقدة للمعمرين وتنديدها باستغلالهم الفاحش لأملاك الجزائريين وأرزاقهم، وتسخيرهم لخدمة مصالحهم الاقتصادية والخدماتية.

ومن ثمة ساهمت هذه الصحافة في استنهاض همم الجزائريين، وتنمية الوعي الوطني لديهم، بكشفها النوايا الحقيقية الاستغلالية، والنزعة المتطرفة الحاقدة للمستوطنين، ولم تتردد هذه الصحافة في دعوة الجزائريين للتمسك بأرضهم وعدم التأثر بإغراءات المستوطنين، ومؤكدة على أهمية هذا المورد كثروة أبدية[44]، ولكونها مصدر أساسي لغذائهم، تجعلهم في موقع قوة بعيدا عن مساومة الإدارة الاستعمارية واستغلال المستوطنين، وباعتبارها- الأرض- رمزا للهوية الوطنية[45]، ودعت كذلك إلى إنشاء مؤسسات خيرية للتكفل بالعائلات الفقيرة والمعوزة[46]، والاعتماد على أنفسهم في تدبير أمورهم الاقتصادية[47]، مؤكدة في هذا الصدد على ضرورة "تأسيس شركات وطنية لقطع الطريق أمام استغلال المستغلين"، وإنشاء "بنك أهلي بأموال المسلمين الجزائريين وحدهم تحديا لمخططات الأعداء"[48]، وأكدت كذلك على أهمية تعليم الأطفال للحيلولة دون وقوعهم فريسة لمساومات واستغلال المستوطنين[49].

وقد أدرك المستوطنون خطورة الدور الوطني الذي كانت تؤديه الصحافة العربية الجزائرية، واعتبروها تهديدا مباشرا لمصالحهم، لذلك حرّضوا الإدارة الاستعمارية على ممارسة التضييق على هذه الصحافة حتى تتوقف عن الصدور، على غرار ما حدث لصحيفتي الصديق[50] والإقدام[51]، كما تعرضت صحف أخرى للتعطيل بعدما وجهت سهام نقدها للسياسة الاستعمارية وانحيازها للمستوطنين كالذي حدث لصحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان خلال فترة ما بين 1926-1938م[52]، و يذكر عبد الملك مرتاض في هذا الصدد: «كانت الحرب مستمرة بين الصحفيين الجزائريين والاستعمار الفرنسي حتى لا تعطل صحفهم، ولا يحذف قلم المراقبة مقالاتهم...، وكان الاستعمار يتفنن في اضطهاده، ويتلون في استعباده، ويشتد في ظلمه وحقده وعقابه، فكان لا يتورع أن يصب عذابه على الصحافة العربية في الجزائر أسواطا أسواطا، ويجرّع أصحابها الهوان أكوابا أكوابا...؛ فكان ما يسلط عليهم من هوان، وما يمطرون به من ضروب العذاب، أهون عليهم وأيسر في نفوسهم من خيانة مبدأ، أو تهاوت في ازهاق باطل...»[53].

الخاتمة: استطاعت الصحافة العربية الجزائرية أن تكشف وتفضح بكل جرأة نظرة المستوطنين الأوروبيين العنصرية الحاقدة، واستغلالهم الفاحش للأهالي الجزائريين في

كل مجالات الحياة، لشعورهم بعقدة التفوق، ونزعتهم الرأسمالية المفرطة، ولاعتقادهم بأن تجسيد مبدأ المساواة بينهم وبين الأهالي الجزائريين كان سيمكنهم من التفوق عليهم عددا وعدة، ومن ثمة تهديد وجودهم بالجزائر المستعمرة، لذلك وظفوا شتى الوسائل والآليات للإبقاء على حالة الجزائريين كرعايا (أهالي) ومعارضة كل المشاريع الفرنسية التي من شأنها تمكين الجزائريين من الحصول على حقوق المواطنة.

وبذلك ساهمت الصحافة العربية الجزائرية بموقفها المشرف هذا في المقاومة الوطنية ضد سياسة المحتل الفرنسي وغلاة المستوطنين المستهدفين للهوية الوطنية الجزائرية وثروات الشعب الجزائري وكيانه.

الهوامش:

1- للإستزادة في الموضوع، راجع زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، صص47-59.

2- المركز الجزائري للإعلام والثقافة، الصحافة الجزائرية بين الأمس واليوم، المركز الجزائري للإعلام والثقافة، بيروت، 1984، صص16-19.

3- صدرت في باديء الأمر باللغة الفرنسية، ثم أصبحت مزدوجة اللسان بداية من تاريخ 14 جانفي 1894، لصاحبها ومديرها سليمان بنقي وخليل قائد العيون متصرفها، و تولى عمار سمار رئاستها، زهير إحدادن، الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930،(بيبلوغرافيا الصحافة الجزائرية)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986،ص24.

4-- زهير إحدادن، المرجع السابق، ص 33.

5- أنظر

Zahir، Ihddadne ،histoire de la presse indigène en Algérie des origines jusqu'à 1930،thèse de doctorat de troisième cycle، paris،1978.p9

6- جريدة أسبوعية صدرت سنة 1911 بمدينة وهران، محررة باللغة الفرنسية، وبداية من شهر أفريل 1912 أصبحت مزدوجة اللسان،وكان مدير هذه الجريدة فرنسي يدعى شارل تابي، لعبت دورا بارزا في المقاومة الوطنية المناهضة لقانون التجنيد الإجباري، لذلك ضايقتها الإدارة الاستعمارية وعطلتها عام 1912.أنظر، محمد حمدان، ومحمد علي الكعي، وأخرون، الموسوعة الصحفية،ج04، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس،1995، ص .78

7- أنظر

Zahir، Ihddadne ،op.cit،p9.

8- للتوسع في الموضوع، راجع، محمد حمدان، ومحمد علي الكعي، وأخرون، المرجع السابق، ص ص72-82.

9- المرجع نفسه، ص.78

10- صدرت سنة 1919 بمدينة الجزائر محررة باللغة الفرنسية، ثم بداية من سبتمبر 1920 أضيف لها قسم باللغة العربية، مديرها الحاج عمار، والمهندس قائد حمود، بينما تولى الأمير خالد إدارة القسم المعرب من الجريدة. توقفت في شهر مارس 1923 لمضايقتها من طرف الادارة الاستعمارية بسبب نزعتها الوطنية الحادة.أنظر،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الإعلام ومهامه أثناء الثورة(دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد)، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009، ص361.

11- جريدة أسبوعية، محررة باللغة العربية، ذات نزعة وطنية، صدرت في 1920/8/12 بمدينة الجزائر، مديرها محمد بن بكير، ورئيس تحريرها عمر بن قدور الجزائري،ثم خلفه في هذه المهمة المولود الحافظي الازهري. للاستزادة في الموضوع، راجع، فضيل دليو، تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة (1830-2013)،ط1،دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014،ص.82

12-- أنظر،محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، مطبعة الفنون الجميلة، الرغاية، الجزائر، 2006، ص ص 58-.68

13- محمد الصالح آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية من 1920إلى 1955، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص67-.74

14- الجريدة موجودة في شكل ميكروفيلم وقرص مضغوط بالمكتبة الوطنية(قسم السمعي البصري)، تحت رقم، م ر50

15- محمد ناصر،المرجع السابق، ص ص 57-.212

16- لمزيد من الاطلاع على أهمية هذه الصحف راجع،الزبير سيف الإسلام،تاريخ الصحافة في الجزائر، ج06، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ص ص 19-.128

17- موجودة في شكل ميكروفيلم وقرص مضغوط بالمكتبة الوطنية(قسم السمعي البصري)، تحت رقم،م ر2

18- عواطف عبد الرحمان،المرجع السابق، ص .41

19- موجودة في شكل ميكروفيلم وقرص مضغوط بالمكتبة الوطنية(قسم السمعي البصري)، تحت رقم، م ر.8

20- موجودة في شكل ميكروفيلم وقرص مضغوط بالمكتبة الوطنية(قسم السمعي البصري)، تحت رقم،م ر.6

21- زهير إحدادن، المرجع السابق، ص .57

22- موجودة في شكل ميكروفيلم وقرص مضغوط بالمكتبة الوطنية(قسم السمعي البصري)، تحت رقم،MR70

23- أنظر،محمد حمدان، ومحمد علي الكمي، وأخرون، المرجع السابق، ص .82

24-- نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (دون تاريخ طبع)، ص ص 119-120.---- 25- مجلة الشهاب، ج9، م12، (نوفمبر1937).

26- مجلة الشهاب، ج11، م13،، (جانفي1938).---- 27- المصدر نفسه.---- 28- نفسه.---- 29- نفسه.

30- من أعلام الصحافة الإصلاحية والوطنية الجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية،ولد عام 1899 بقرية ليانة (بسكرة)،، تعلم بقسنطينة على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، وزاول تعليمه بالزيتونة، حرر العديد من المقالات والمواضيع المختلفة في عدة صحف جزائرية أهلية، وأخرى عربية مشرقية، كما ارتبط اسمه بتأسيس جرائد، الجزائر 1925، المغرب العربي 1937، والوفاق(1938-1940)، والمغرب العربي باللسانين العربي والفرنسي(1947-1956). اغتيل من طرف جبهة التحرير الوطني خلال شهر ماي 1956 بعدما رفض الاستجابة لأوامرها بتوقيف جريدته المغرب العربي .أنظر، مصمودي فوزي، تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليميا من 1990إلى 1956، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، 2006، ص157

31- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، وأعلامها من 1903 إلى 1931، م2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978،ص85

32- من مواليد عام 1892 بطولقة(بسكرة)، درس وحفظ القرآن بزاوية أسلافه بطولقة، وتابع دراسته بجامع الزيتونة بتونس سنة 1911. عاد إلى الجزائر سنة 1919 ودرس بالمدرسة الكتانية بقسنطينة، وأسس جريدة النجاح(1919-1956)،كان رجلا فاضلا،ذوعلم غزير،وكفأة في الفقه وفن الكتابة الصحفية، توفي في عام 1973 بقسنطينة. للتوسع في هذا الموضوع، أنظر، سليمان الصيد، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الاخبار، ط1، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، بوزريعة، الجزائر، 1994، صص158-.219

33- جريدة النجاح، العدد397، (1930/5/14)، ص1.---- 34- مجلة الشهاب، ج11، م13، (جانفي1938).

35- من مواليد 1875 بدمشق، جاء رفقة والده إلى الجزائر سنة 1892 حيث استقرّ بها، ثم أرسل إلى الدراسة بثانوية "لويس لوغران" بباريس سنة 1892، بعد ذلك التحق بالكلية العسكرية "سان سير" في نفس السنة، وأظهر تفوقا واضحا في دراسته العسكرية، ثم استقال منها سنة 1895، الأمر الذي عرضه رفقة عائلته للإقامة الجبرية ببوسعادة، ولما رفعت الإقامة عاد للكلية

سنة 1896، وتخرج منها سنة 1897 برتبة ملازم، ثم عمل في كتيبة الصبايحية الأولى وشارك سنة 1907 في الحملة الفرنسية على المغرب، ورقي في سنة 1908 إلى رتبة نقيب، استقال من الجيش سنة 1910، وعاد إليه سنة 1912.

وعند إندلاع الحرب العالمية الأولى انضم الأمير إلى الجيش الفرنسي وشارك في الحرب مع فرنسا، ثم عاد إلى الجزائر 1916، ومنح له جوق الشرف نتيجة للشجاعة التي أظهرها في القتال، ثم قرر التقاعد سنة 1919، وتفرغ إلى العمل السياسي خلال فترة (1919- 1923). وبسبب نضاله السياسي الوطني أرغمته السلطات الفرنسية على مغادرة الجزائر نحومصر في سنة 1923، وفي 1924، ثم نفي مجددا في سنة 1926 إلى سوريا ليكمل بقية حياته بها إلى غاية وفاته عام 1936 .أنظر، الموسوعة الصحفية العربية، أعلام الصحافة في الوطن العربي، م1، ج6، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونسن،1997، ص ص 87-88.

36- جريدة الإقدام، العدد6، (1920/10/15).----- 37- جريدة الإقدام، العدد7، (1920/10/22).

38- محمد ناصر، المقالة الصحفية...، م2، مرجع سابق، ص95.----- 39- نفسه، ص.95

40- عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس (1889-1940)، ولد بمدينة قسنطينة التي تلقى بها تعليمه الابتدائي*، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة على يد الشيخ "محمد ابن المنداسي"، وأخذ مبادئ العربية والإسلام عن الشيخ "حمدان لونيسي"، وفي سنة 1908 سافر إلى تونس حيث التحق بالزيتونة لغرض الدراسة والتعليم وحاز على شهادة التطويع.

ولما عاد إلى الجزائر تفرّغ للتدريس بالجامع الأخضر وذلك ابتداءً من سنة 1911، ثم سافر إلى المشرق سنة 1912، وبعد عودته اهتم بالتدريس في جامع سيدي قموش بقسنطينة، وأسس جريدة المنتقد سنة 1925، وبعد تعطيلها من قِبل المحتل أصدر "الشهاب" في السنة نفسها، وأسس مع نخبة من قادة الفكر والإصلاح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931، التي لعبت دورا مهما في قيادة نضال الشعب الجزائري في مرحلة دقيقة وحاسمة، تعمّد فيها الاستعمار طمس مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، واستمر في قيادته للجمعية لغاية وفاته 16افريل 1940. أنظر، صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، مطابع الشرق، بيروت، لبنان، (دون تاريخ طبع)، ص 134.

41- الشهاب، العدد26، (1926/5/13).

42- محمد ناصر، المقالة الصحفية...م2، مرجع سابق، ص.98

43- أنظر،"ابنك وارثك فهيء له ما استطعت من الأعمال"، جريدة النجاح، العدد 804، (1929/10/25).

44- أنظر، النجاح، العدد397، مصدر سابق، ص1.---- 45- أنظر، جريدة النور، العدد54، (1932/10/25).

46- أنظر،"احتياجنا إلى مؤسسة صناعية تنشل الأرامل والأيتام من شر الفقر المدقع"، جريدة النجاح، العدد1227، (1931/11/4).

47- - أنظر،"المشروعات الاقتصادية الوطنية"، جريدة النور، العدد54، (1932/10/25).

48- أنظر، "حاجة الجزائر إلى مصرف أهلي"، جريدة وادي ميزاب، العدد89، (1928/06/29)، وأيضا، محمد ناصر، المقالة الصحفية...المجلد الثاني...ص ص 105-107.

49- أنظر،"أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض، الجهل يحصدهم والكسل يفنيهم"، النجاح، العدد785، (1929/9/8). وأيضا، عبد الحفيظ الهاشمي، "علموا الأبناء"، النجاح، العدد639، (1928/9/16).

50- فقد تعرض أصحاب الجريدة وعلى رأسهم مديرها محمد بن بكير، ورئيس تحريرها عمر بن قدور الجزائري للمضايقة والتفتيش واقتيدوا للبحث والإستنطاق بسبب مواقفهم الوطنية.أنظر،محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط2، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2006، ص .51

51- الموسوعة الصحفية العربية، أعلام الصحافة في الوطن العربي، م1، ج6، المرجع السابق، ص.78

52- للتوسع في هذا الموضوع، أنظر، الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج6، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985.

53- عبد الملك مرتاض،"نضال الصحافة العربية في الجزائر قبل الثورة"، مجلة الثقافة، ع97، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، يونيو- يوليو 1977، ص69.